# حق الحياة

## هو هدية العيـــد

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضائى بالآثار

يتردد الناس كثيرا فى اختيار هداياهم ، عندما تقرب بهـم دورات الزمن كل حين من يوم العيد . وقد اعتاد الناس أن يقدموا بعض الهـدايا إلى أقربائهم أو أصدقائهم فى مثل هذه المناسبة القادمة بعد أيام .

ولكن بعض النـاس لا يفكرون فى العيـد مثلما يفكر غيرهم ، فليس مايدعوهم إلى أن يغيروا من حالهم فى هـذا اليوم ، أو أن يؤملوا فى تغييره ، ولو أنه كان هناك ما يدعوهم إلى هذا لمـا كانت لديهم الوسائل إلى تحقيق هذا الأمل البعيد !

هؤلاء الناس هم الذين شغلتهم مطالب البقاء عن سعادة الأحيـاء . . . ، فإذا فكروا فى هذا اليوم لم يفكروا فى هدية العيد ، وفرح العيد ، وسعادة العيد ، ولكن فكروا فى مطالب الحياة أو فى حق الحياة !

وخير هدايا العيـد ما كان المهدى إليه فى حاجة إليهـا . . . ولكن ماذا عساى أقدم لهؤلاء المحرومين ، ولست من الموسرين ؟ ! ..

ليس لى إذن أن أتردد فى اختيار نوع هديتى فى العيد إلى هؤلاء المحرومين ، وأنا من العـاجزين . وعلىّ إذن أن أجعـل مظهر هديتى من جوهر قدرتى . . . . فأقدم إليهم سطورا مكتوبة فى حق الحياة ، عسى أن يجعلها غيرى من القادرين أرقاما محسوبة فى كتاب العدل الاجتماعى ! .

ولد الانسان حيا ، ومعه ولد حقه فى الحياة ، بل ولد حق الانسان فى الحياة قبل أن يولد ، فهذه شرائع السماء ونظم الأرض ترتب للجنين فى بطن أمه حق الحياة ، فتفرض العقاب على من يؤدى بعمله إلى موته فى بطن أمه ، وتحفظ له حقه فى الارث نصيبا مفروضا .

و يفسر بعض من الناس حق الإنسان فى الحياة بضمان ألا يعتدى عليه إنسان غيره اعتداء يودى بحياته . ولكنى أريد أن يفسر الناس جميعا حق الإنسان فى الحياة بألا يعتـدى عليه الإنسان أو المجتمع اعتداء يهدد هذه الحياة .

ولا شك أن التزامات المجتمع تجاه الانسان فى الدولة الحديثة المنظمة أو فى وأكثر من التزامات الأفراد تجاهه فى عصر الهمجية الأولى . وطبعى أن تكون الحال كذلك ، لأن التزامات الفرد تجاه المجموع فى الدولة الحديثة متعددة ، وقد كان فى عصور الفوضى غير ملزم بشىء تجاه الآخرين .

كان الإنسان الأول يعمل ليعطى نفسه فحسب ، ولكنه اليوم يعمل ليعطى الدولة وليخدم المجموع البشرى . فكان يفيد وحده من عمله قديما ، ولكن الدولة والمجموع البشرى يفيدان اليوم من عمله ، ويؤمنان بأنهما مدينان لعمل الفرد فى حفظ كيانهما وفى الوصول إلى ماوصلا إليه من تقدم ، وكان الإنسان الأول مسئولا وحده أمام نفسه عن حاجاته — وهو الذى يفيد من عمله فحسب — فالدولة اليوم والمجموع البشرى متضامنان فى المسئولية عن حاجاته وعن حاله ، مادام يفيدان من مجهوده وعمله .

كل مظاهر الحياة البشرية اليوم قد تغيرت ، وقد تبدلت إلى أحسن مما كانت عليه فى الماضى ، وهى تسير كل يوم فى سبيل الأفضل ، فلأى القوى تدين البشرية إذن بهذا الفضل العظيم ؟ إنها تدين به إلى قوة الانسان ، إلى فكره وإلى عمله كعضو فى المجموع البشرى .

وليس المخترعون والكاشفون والعلماء والحاكمون وحدهم أصحاب الفضل فيما وصلت إليه البشرية من تقدم ؛ فإن كل عامل بفكره وجهده شريك فى هذا الفضل العظيم ، عظم تفكيره أو حقر ، وكبر جهده أو صغر ، بل لعل للجهود الصغيرة المشتركة فضلا أكبر مما للجهود الكبيرة المنثرة .

لقد أعطى الإنسان إلى البشرية — كعضو فيها — من فكره وعمله كثيرا ، فهل له أن يأخذ منها بقدر ما أعطى وبقدر ما يعطى ، تنفيذا لدستور العدل الاجتماعى ؟

لا جدال فى أن الدولة الحديثة المنظمة العادلة تعترف بهذا قانونا ، فهل تعترف به عملا ؟

لو أنها اعترفت به عملا فأعطت كلا بقدر فكره وعمله ، لكان الناس اليوم فى صورة غير ماهم عليه من صور ، ولكان الناس اليوم جميعا يعيشون فى الحال التى تتفق والعصر الذى يعيشون فيه وتتناسب والجهد الذى أدوه ويؤدونه كل يوم فى سبيل تقدم البشرية ، ولكان الناس اليوم جميعا يتمتعون بنتاج تفكيرهم وعملهم فى شتى مناحى الحياة .

لكن أكثر الناس ، يعيشون اليوم فى صور لاتتفق والحال الكريمة التى تعيش فيها البشرية كنتيجة للمجهود الفكرى والمجهود العملى للانسان فى شتى مناحى الحياة .

كم من انسان يعيش اليوم فى عصر المدنية والنور والحرية وهو لا يضمن خبزه الكريم ؟ وكم من انسان يعيش اليوم وهو لا يضمن كساءه الكريم ، وكم من انسان يعيش

اليوم مشردا لأنه يعجز عن تملك قليل من النقد ، يدفعه إيجارا لحجرة متواضعة ، وكم من إنسان يعيش اليوم عليلا عاجزا عن الوصول إلى من يرشده إلى سبيل التطبيب ، عاجزا عن الحصول على ثمن دواء أو محل فى مستشفى للعلاج ، وكم من إنسان يعيش اليوم فى دنيا العلم والمعرفة وهو — فى الحق — يحيا فى عالم الجهالة والضلالة !

وأخيرا ، كم من الناس اليوم يتمتع حقا بالصورة الواجبة للحياة البشرية الكريمة ، التى لم توجد بغير فكر الإنسان وعمل الإنسان ؟ !

أرجو أن يكون هذا الجواب خاطئا ، لنستطيع أن نقرر حق الحياة للانسان ، فى صورة غير ما هى عليه الآن فى صورة كريمة تتفق وكرامة " الإنسان " وتتوازن وجهده فى كفاح تقدم الإنسانية .

فهل نستطيع أن نضع حق الحياة فى هذه الصورة ، صورة أن يعيش كل عامل بفكره أو جهده فى الحال التى تعيش فيها البشرية ، والتى لم تصل البشرية إليها إلا كنتيجة لما بذله من تفكير أو مجهود ؟

لا أقل من أن نضمن لكل إنسان يعمل أو يريد العمل غذاء كافيا مناسبا ، وأن نضمن له كساء كافيا مناسبا ، وأن نضمن له مأوى كافيا مناسبا ... غذاء وكساء ومأوى له ولأسرته ، التى تنجب لنا جنود الوطن وأيديه العاملة فى مستقبل الأيام ، والتى بقدر ما تكون قوتها الحاضرة تكون قوتها المستقبلة ، وبقدر ما تكون قوتها حاضرا ومستقبلا تكون قوة الوطن وقوة المجموع البشرى .

ولعلنا — بعد هذا — مستطيعون أن نحقق له ثقافة مقبولة تضعه فى مرتبة تفوق — شيئا ما — مرتبة الحيوان الأعجم ... وأن نسأل له راحة كافية ، بعد فترات عمله المضنى ، لا راحة كاملة كتلك التى يتمتع بها كثيرون من الذين يأخذون ولا يعملون ...

ولا نريد أن نضمن له هذا كتفضل منا عليه ، ولكنا نريده له كحق له علينا ، جزاء جهده وكده ، وجزاء نصيبه فيما آلت إليه حال البشرية من تقدم ، كنتيجة لما بذل وبذل من عمل وجهد .

ثم لعلنا — بعد هذا وذاك — قادرون على أن ندخل على نفسه السرور ببعض السبل ، وأن نرسم على ثغره ابتسامة متواضعة هادئة فى يوم العيد ... بين الضجة الصاخبة التى يحدثها غيره من البشر ، حين يمرحون ويلهون ويعبثون ... فى يوم العيد ، بل فى جميع الأيام !

إن حق الحياة للانسان — كعضو فى مجموع بشرى — يلزم أن يقرر وأن يقوم على أساس تمتعه عملا بصورة كاملة سليمة لحياة البشرية التى يعيش فيها ، والتى تحيا بتفكيره وتنمو بعمله . وتحقيق هذا الحق واجب الدولة الحديثة المنظمة العادلة ... ....

عماد الدين عبد الحميد